تمثلات العامل السياسي في الرواية النسوية السودانية

لبنى عبد العزيز الغصين
Abdlubna764@gmail.com
الأُستاذ الدكتور صفاء الدين أحمد فاضل
Safaaalkaisy2008@gmail.com
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

Representations of the political factor in the Sudanese feminist novel

Lubna Abdel Aziz Al-Ghussein
Professor Dr. Safaa El Din Ahmed Fadel
Aliraqia University College of Arts

المستخلص

للعامل السياسي دوره الكبير في رفد الأدب بمادة وفيرة ومشاكسة، تغري الأديب بضمه إلى منجزه الأدبي، والذي ربما جاء عملا سياسيا يحمل روح الأدب، ويطرح هموم الوطن.

وقد كان للروائية السودانية نصيب من هذا الطرح، إذ لم تختزل اهتماماتها ،بهموم المرأة والجندرة وما تواجهه من تهميش أو إزواء، فقد كان لهموم الوطن نصيبها من اهتمامها وتشخيصها ومحاولة علاجها، وكشف سلبيات العلاقة بين الحاكم والمحكوم في وطنها.

الكلمات المفتاح: العامل السياسي، الرواية السياسية، الانقلابات، المعتقل، الروائية السودانية.

Abstract

The political factor has a major role in providing literature with abundant and contentious material, which tempts the writer to include it in his literary achievement, which may come as a political work that carries the spirit of literature, and raises the concerns of the homeland.

The Sudanese novelist had a share of this presentation, as she did not limit her interests to the concerns of women, gender and marginalization, as the concerns of the homeland had a share of her interest, diagnosis and monitoring of cases of corruption, and revealing the negatives of the relationship between the ruler and the ruled in her homeland.

The political factor : the political narrative, the coups, the detainee, the Sudanese province

بسم الله الرحمن الرحيم

العامل السياسي:

لا يمكن فصل السياسة عن الأدب ،كما لا يمكن فصلهما عن حياة أي مجتمع بشري ، فكل منهم يؤثر في الآخر بصورة قوية ومباشرة ، فكثيرا ما كانت السياسة بئرا فياضا ينضح منها الأديب مادة إبداعه ،كما كان الأدب مؤثرا ومصورا لحياة المجتمع السياسية، وكم من مجتمع تشكلت ملامحه، بفعل الظروف السياسية التي عايشها، مما أدى إلى ظهور الرواية السياسية ، و(يرى المفكر والناقد الإنجليزي "تيرس إيغلتون "أن هناك علاقة وثيقة بين الأدب والسياسة، وقد يصل الأمر إلى صعوبة فك العلاقة بين الاثنين، وعلى هذا الأساس ظهر مفهوم "تسييس الأدب"، الذي يتناول تأثير السياسة على الأدب ،وتأدب السياسة الذي يناقش تأثير الأدب على السياسة)[1]،والرواية السياسية تأتي في إطار المذهب الواقعي ،كما تحمل غالبا توثيقا لأحداث سياسية ،أثرت في المجتمع ،وكثيرا ما تأتي للتنفيس عن غضب الأديب من الواقع المعاش، وإظهار رفض الأديب –الناطق بلسان الشارع –، لما يدور حوله من وقائع، واحتجاجه على الأوضاع المعاشة، ومحاولة توثيق ونقد الانحرافات التي تحدث في المجتمع، بفعل السياسيين والمتنفذين في البلد.

تعريف الرواية السياسية:

الرواية السياسية انتاج أدبي ينتج من الفكر التنظيري، ويزاوج بينه وبين الواقع المعاش على أرض الواقع، وهي عادة تطرح قضايا سياسية ، وطنية وإقليمية وعالمية، تناقشها وتعرض معطياتها ، وتسلط الضوء على أحداثها، وتؤرخ للعديد من الأحداث المفصلية،(يحيل مصطلح الرواية السياسية إلى أفق المضمون أو المحمول السردي، وليس إلى قضية شكلانية، ومنذ القرن التاسع عشر جرى استخدام ثيمة المعضلات

السياسية وتاريخ الوقائع السياسية في المتن الروائي)[٢]،فتصنيف أية رواية على أنها رواية سياسية ، يأخذ بعين الاعتبار ما تحتويه من مضامين تتعلق بالسياسة وأحوال البلاد، وما يطرحه النص من مشاكل وأحداث، ونزاعات سياسية، في بلد الراوي، أو في العالم. و(أول دراسة أكاديمية للرواية السياسية بدأت في عام ١٩٢٤مع دراسة "موريس أدموند سبيري" Morris Edmond speareبعنوان "الرواية السياسية" The Political Novelحيث كتب عن كل من الروايات السياسية الإنجليزية والأمريكية ،واهتم بإظهار الاختلافات بينهما وبين الرواية التقليدية، ورأى أن الرواية السياسية نوع أدبي معين ،ولها خصائص معينة)[٣]،في حين يرى "جوزيف بلوتنير"أن (هناك أهمية لموضوعات بعينها في الرواية السياسية مثل الحروب–التي يعتبرها امتداد السياسة– والأعمال المحرضة على الفتنة، وسياسات المجالس النيابية والموضوعات المتعلقة بالانتخابات)[٤]،ونظرا لديموقراطية المجتمع الغربي؛ يرفض "بلوتنير "الروايات السياسية التي توظف الأقنعة التراثية والمجازية والتاريخية، للتعبير عن القضايا السياسية، بل يفضل الرواية التي تقدم الخطاب السياسي مباشرة. وهكذا يبعد "بلوتنر "الروايات التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي أو رمزي، ويرى أن "الرواية السياسية هي كتاب يصف مباشرة ويفسر ويحلل ظاهرة سياسية"[٥]وهذا الرأي صعب تقبله وتطبيقه بصورة دائمة وتامة في المجتمعات العربية ،التي غالبا ما يقع الفكر المضاد للحاكم، تحت وطأة المصادرة والتكميم، وربما الاعتقال، فكان لابد من لجوء المبدع ،إلى الرمز والقناع ،واستلهام الماضي والتاريخ، ليتلبس به الحاضر.

ويرى جميل حمداوي أن الرواية السياسية هي التي (تنصب على مناقشة الأفكار السياسية ،وتبيان مواطن اختلافها وتشابهها ، مع رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم والعامل مع أرباب وسائل الإنتاج واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي

وما يستتبعهما من اعتقال وقمع وقهر وحبس للمواطنين والمناضلين في الزنازين وسجون التعذيب والتطهير)[٦]فأي فكرة سياسية تحتاج لمن ينشرها ويدعو لها، ومن الطبيعي أن لا تتفق جميع العقليات على أفكار واحدة ، مما يؤدي إلى نشوء اختلافات وخلافات بين أفراد المجتمع ، وقد يكون لدى بعض فئات أو جماعات المجتمع اختلاف مع السلطة الحاكمة، مما يؤدي إلى قيام صراع فكري سياسي بين السلطة والشعب ،وقد يعبر عنه باضطرابات واحتجاجات من قبل الشعب، ولربما قابلته السلطة الحاكمة بتسلط وقمع واستخدام مفرط للقوة ،مما يؤدي للاعتقالات التي يصحبها التحقيق والتعذيب وربما الإعدام .وعرفها علاء الدين سعد جاويش بأنها (رواية أدبية تناقش قضية سياسية (ظاهرة أو خفية)،وهي رواية معقدة تدعو إلى أيدلوجيات خاصة، وتعادي غيرها من الاتجاهات السياسية في المجتمع، وقد تعادي الحاكم والحكومة، وقد تخرج عن المذهب الواقعي ، وتأتي في إطار المذهب الرومانسي، من خلال الرواية التاريخية التي تتحدث عن وقائع سياسية)[٧]، د. علاء الدين يرى أن الأصل في الرواية السياسية أن تكون على وفق المذهب الواقعي ، فتنقل الواقع بما فيه من أفكار وأحداث وصدامات ،وتسرد أحداثا واقعية حتى وإن لم تقع لكنها ممكنة الحدوث، إلا أن الرواية السياسية، قد تنحى منحىً آخر ، فتعود إلى التاريخ تستقي منه فكرتها ، وتسقط الأحداث التاريخية على الواقع المعاش، وتتخذ من شخصياته ، أقنعة يتخفى خلفها الروائي، ويجعل منها قناة تعبر خلالها أفكاره ورؤاه السياسية وفيها يستخدم الرمز والقناع .في حين عرفها د. سعد علوش أنها (الدعوة إلى أفكار سياسية معينة وتفنيد غيرها ، مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية ، على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى، ولا تتميز عن غيرها من الروايات

إلا بتأكيدها على الحدث السياسي)[٨]،الرواية السياسية لدى د. سعد علوش ، لابد أن يكون تركيزها على الحدث السياسي ،وثرائها بالأفكار والآراء والمجادلات السياسية.
وللرواية السياسية أهميتها ،فالواقع لا يتغير من تلقاء نفسه،(إن الإنسان هو من يغيره، الإنسان حين يكون أكثر إدراكا وأكثر حساسية ،يكون بالنتيجة أكثر فاعلية، ومهمة الرواية أن تساهم في خلق هذا الإنسان)[٩]،الواعي لما يدور حوله والقادر على إحداث التغيير ،والدفع بعجلة الإصلاح السياسي والاجتماعي.

الانقلابات والقمع السياسي

لم تكن مشكلة السودان السياسية محصورة في تمرد الجنوب فقد احتلت الانقلابات العسكرية مساحة واسعة من المشهد السياسي المتوتر في السودان ، هذه الانقلابات كانت تؤدي إلى انفلاتات أمنية ، يذهب ضحيتها الشعب البريء، فمنذ حصول السودان على الاستقلال شهد عشرين محاولة انقلابية ، نجح منها سبع محاولات .

وكان انقلاب الفريق إبراهيم عبود ١٩٥٨أول انقلاب عسكري في إفريقيا ، وتوالت بعد ذلك الانقلابات العسكرية[١٠].

هذه الانقلابات كانت أحد روافد تشكيل المعنى في الرواية السودانية النسوية ، إذ استلهمت الروائية السودانية الكثير من أفكار رواياتها ومعانيها ، من أحداث هذه الانقلابات ، وأسبابها ونتائجها. بل إنها في بعض الأحيان تعاملت معها من منطلق تاريخي توثيقي، فتذكر أسماء المعارضين ، وسنوات التمرد ،وبعض المعارضين الذين تم إعدامهم.

والوضع السياسي ،هو الباعث الأول للانقلابات ،إذ إن (الانقلاب العسكري استمرار للعملية السياسية ،فعندما يخسر الساسة المدنيون في الميدان السياسي فإنهم يلجأون

لحلفائهم العسكريين كي يقوموا بانقلاب عسكري)[١١] ،ومرد هذا كله إلى (أحزاب سياسية أصبح لها كوادر لا يستهان بهم في الجيش القومي، من أجل الحصول على السلطة لتطبيق التغيير الذي يروه مناسبا)[١٢]،فكل انقلاب عسكري في حقيقته ، هو صدى لوضع سياسي قائم مرفوض، وتمهيد لوضع سياسي مأمول.

رواية "أرواح إدّو" التي تدور أحداثها في حقبة السبعينيات ، تقدم لنا الوضع السياسي المتعثر من وجهة نظر زوجة أحد ضباط الجيش (تريزا)– كان وضعاً متردياً ف(بسبب النظام القائم استشرى الفساد مما أدى إلى انحدار الدولة نحو الحضيض)[١٣] ونجد كلمة (استشرى) تشير بقوة إلى أن الفساد قد عمّ جميع مرافق الحياة ونواحيها، مما جعل الدولة تعاني من التخلف والفقر والظلم والجهل ،كل هذه المعاني المكروهة عبرت عنها ب (الحضيض)والحضيض هو ما سفل من الأرض ،فكأنما الدولة تراجعت حتى وصلت إلى نهاية المدارك واستقرت في الحضيض.

وفي ظل هذا الفساد المخيم على الحياة في المجتمع السوداني (كانت الأحزاب تستعين ببعض الضباط لمساعدتها على الاستيلاء على السلطة)[١٤]والمفارقة المؤلمة هنا أن الجيش نفسه من يتصدى لكل تلك المحاولات وقد مات منه الكثير ، فالجيش يقاتل نفسه .....!!فقسم مع الحكومة المركزية وقسم مع متمردي الجنوب، والثالث مع الأحزاب الشمالية غير الراضية عن الحكومة !!

لكن الضابط بيتر يقف على الحياد، فهو متردد ومتخبط بين ولائه للمؤسسة العسكرية ، وحبه للسودان الوطن الكبير – الحريص على وحدته واستقراره– وولائه للوطن الصغير "الجنوب" ،وأمله في أن يكون على خط المساواة مع الشمال (كان يكثر من قول: في بعض الأحيان يصبح الحياد قاتلاً خاصة في الأوضاع القابلة للانفجار، لأنك ببساطة تكون تحت نيران كلا المعسكرين)[١٥]وكلمة نيران هنا تؤدي معنيين فهي تحتمل المعنى

الحقيقي للنيران، أي نيران الأسلحة لاسيما وقد جاءت في مع مفردات (الانفجار ،المعسكرين)وما تحملانه من دلالات حربية، كما تحتمل المعنى المجازي ، فيكون المقصود بالنيران العداء والخصومة.

"بيتر" الضابط الجنوبي يؤمن بأن مهمتهم كجنود وضباط في الجيش هي (لنحمي حيوات الآخرين من بشر و حجر وبقية الكائنات مقابل حياتنا)[١٦] لكن هذا المفهوم أصبح مختلاً لدى الجيش في هذا الوقت الحرج حين (أظهر الجيش بأنه مؤسسة غير خاضعة تماماً لمسألة خوض الحروب للدفاع عن الوطن، إن بريق السلطة أخد يدغدغ مشاعر الكثيرين الذين لهم انتماءات حزبية)[١٧]فأمام "بريق السلطة" باع بعض ضباط الجيش إيمانهم بالوطن وحمايته وحماية شعبه وأرضه وسمائه، هؤلاء الضباط الذين تربطهم مصالح وقناعات ببعض الأحزاب، كانوا سبباً رئيسا في أن (أصبح كبار الضباط تحت رقابة الأمن الوطني مباشرة، يعدون عليهم الأنفاس)[١٨] فالسلطة من وجهة نظر مالكها (الحكومة) – تابو مقدس لا يجوز المساس به ،ومن وجهة نظر المتطلع إليها (المعارضة)حلم يسعون لتحقيقه وكلاهما يرفع شعار "مصلحة الوطن". هذا التخبط السياسي ،وتجاذب السلطة، أدى إلى انفلاتٍ أمني وتوحش، عانى منه المواطنون في الشمال والجنوب على حدٍ سواء، ففي الجنوب هناك "السلاح المنفلت "والميليشيات التي تعمل من دون رقيب، تحت ظل زعامة متمردة تسعى إلى الانفصال عن الشمال والتخلص من الحكم المركزي في الخرطوم. ففي رحلة الهجرة من الجنوب إلى الشمال، بعد اندلاع جولة من القتال بين الجيش والمتمردين ،أدّت إلى فرار الكثير، أصيبت الشاحنة بعطبٍ عظيم، (مما أقلق السائق فأخذ ومساعده يعملون. بسرعة قبل أن يحل الظلام، فإن الطريق غير آمن بالذات في أجواء مشحونة بالحرب)[١٩]، فالظلام ستار يتحرك تحته الشر، وحلوله يعني بدأ انتشار الخوف والقتل والدمار،

ويبدو أن هذا هو الأمر الشائع في الجنوب، ولكن الحرب أصّلته وكرّسته، فكلمة "بالذات" تعني تخصيصاً وزيادة ، أضفتها الحرب التي شحنت الأجواء . في هذا الجو المشحون بالخوف والترقب، كان بيتر وزوجته اللذان كانا ضمن الحافلة يعيشان هذا القلق الذي لم يدم طويلا (فجأة سمعا جلبة وأصوات رصاص وصريخ، وضع يده على فمها، وظل ملتصقاً بها وبالأرض إلى أن هدأت الجلبة تماماً ، زحف بحذر ودون صوت تقريباً أزاح الحشائش الطويلة ليلقي نظرة إلى موقع الحدث وبصعوبة رأى في الظلام أن الكل تم قتله وسرقت حاجاتهم، ولم يتبق سوى طفل لم يكمل العام يبكي بشدة، وهو يحاول الرضاعة من ثدي أمه المقتولة)،مشهد يضج بالألم والخوف والتوجس، تحت جنح الظلام يقتل ركاب الشاحنة جميعاً، ويقتلون وسط جلبة وصريخ ، دون احتراز أو تستر، وينسحب القاتلون دون خوف أو وجل ، ودون حضور قوى أمن أو دوريات عسكرية، وأنّى لهم وهم (في الأدغال، أشجار الآلهة ضخمة باسقة)[٢٠]ويزداد المشهد قتامة وألما، بوجود طفل لم يكمل العام ، ولا يعرف من الحياة سوى أمه وثديها، الذي بقي متعلقاً به، رغم رحيل أمة. هذه الحادثة المروعة ، تمر مرور الكرام ويُشار إليها في المذياع بالحديث عن (عدم أمان الطريق إلى القرى، عن أناس قتلوا في الطريق بواسطة مجهولين دون الإشارة إلى أن هناك ناجيين من الحادث) ،فالأمر كله مجهول، لفظة "أناسٌ "بصيغة التنكير تدل على لا مبالاة الحكومة بالقتلى فهم "أناسٌ" وفقط ، بدون عدد ولا أسماء ولا هوية، وكذلك مرتكبي الجريمة إنهم (مجهولون) وعليه لا يمكن ملاحقتهم أو محاسبتهم، وهذا تبيين وتأكيد لأحد الأمرين :إما ضعف الحكومة المركزية وعجزها عن إدارة الجنوب وحمايته، وإما إهمالها للجنوب وأهله، وعدم حرصها على استتباب الأمن فيه وحماية أهله. ويزداد الأمر سوءاً، إذ نجد قريب الناجي "ماركو" ينصحه (أن يبقى الأمر سرًا حتى لا يتعرض

إلى المساءلة من السلطات)[٢١]فالضحية هومن يخضع للمساءلة والمحاسبة ، في حين ينجو المجرمون بفعلتهم.

هذا الانفلات الأمني طال الشمال كما طال الجنوب،(حيث انزلقت البلاد نحو عنف ملأ الشوارع بالأسئلة والدم والجثث والندم فيما بعد)[٢٢] ،ففي فجر يوم عطلة الجمعة، يتلقى الضابط بيتر أمراً من القيادة العليا بالحضور، وسلوك طريقًا غير رئيسية للوصول ، وتوخي الحذر الشديد (لا بد أن محاولة انقلاب جديدة، لا أدري متى سيتوقف هذا التناسل الطحلبي للانقلابيين الكل يرغب بالركوب على ظهور الآخرين ، هذه إهانة بائنة لمؤسسة الجيش والمدنيين على السواء. ما الجدوى من أن يحلم أتفه جندي بحكم البلاد، بحيث لا يتوانى بأن يجازف بحياته، إذا نجح صار رئيسًا وإذا قتل فحتماً سيجد من ينصبه بطلاً)[٢٣]، كانت الفوضى تلون الحياة بلون الموت والخوف والتخبط (بالكاد أعدنا رباطة الجأش لأنفسنا لوضع خطة سريعة لمحاربة عدو لم نتعرف عليه بعد من هو؟ ومن أين يأتي ؟ ولكن بخبرة الانقلابات الكثيرة التي تحدث بين الحين والاخر لضباطٍ طموحين ومسيسين تعاملنا على هذا النحو)[٢٤]هذا النحو كان يعني أن تتحول المدينة إلى ميدان معركة (انتشر الجيش في كل المدينة على حين غرة، انتشر العدو أيضاً، ربما نحن أيضا كنا أعداء من وجهة نظر من هاجم المدينة في فجر ذلك اليوم)[٢٥]،"بيتر "الرافض للقتال (الأخوي)الذي يطحن أبناء الوطن الواحد، يسمح لنفسه أن يحاول تبادل الأدوار فكريا مع الطرف الآخر، والنظر من منظاره، الذي لنا يرى "بيتر "والجيش والحكومة سوى عدو أيضا، نعم الطرفان عدو، كلاهما عدو للآخر، وكلاهما يسعى للقضاء على الآخر !!لكن السؤال الذي يبقى عالقاً من فيهم عدو الوطن؟!

بكلمات متسارعة متناغمة مع طلقات الرصاص ينقلنا الضابط بيتر إلى أرض المعركة (دارت معارك شرسة على مداخل المدينة ودار الإذاعة وعلى مداخل ومخارج الجسور التي تربط مدن الخرطوم الثلاثة، الخرطوم والخرطوم بحري وأم درمان كمفاصل لهيكل آدمي، مما يعني أن عدونا كان أكثر تنظيماً منا حيث سيطر على المناطق الاستراتيجية بسرعة فائقة)[٢٦]،في هذه الكلمات إشارة إلى أن أصحاب الانقلاب كانوا قد أعدوا للأمر عدته ،ونظموا أنفسهم وتحركاتهم بصورة منضبطة ،كفلت لهم سرعة الانتشار والسيطرة، كما أنهم حافظوا على السرية والخفاء (اشتبكنا مع المهاجمين دون مقدمات وبقليل من المعلومات غير المؤكدة)[٢٧]،التي تحمل قدرا لا بأس به من عدم المصداقية، وانعدام وضوح الرؤية لأرض الواقع، وميدان القتال، لكن هذه الاشتباكات لا يكتوي بنارها الجيش والانقلابيون فحسب، فقد(ازداد الأمر صعوبة عندما احتمى المهاجمون بأحياء المواطنين، كانت الجدران حواجز حماية، والأزقة خنادق والجميع في مرمى الرصاص، الصمت مطبق كأن الناس لم يستيقظوا بعد، كان الخوف يلجم الجميع ، حتى الكلاب والديكة ابتلعت نباحها وصياحها، عند منتصف النهار جاءتنا قوات داعمة من المدن القريبة وانخرطوا سريعا في المعارك الفوضوية كان هناك تخبط واضح أصبح الجميع يضرب كيفما اتفق بدافع الغضب والشعور بالإهانة والخوف معًا)[٢٨] إنها حالة من الخوف وانعدام التوازن والتخبط ،فالجميع يقتل والجميع يطلق النار (كيفما اتفق)والجميع في مرمى النار،فـ (المعارك فوضوية). الجميع يقاتل، والجميع يريد أن يقتل، لم يعد حفظ الوطن والشعب، أو حماية المبادئ والقضاء على الفساد هو الدافع للقتال، بل هو الشعور الشخصي ب(الغضب والإهانة والخوف)،هو مزيج عجيب من مشاعرٍ بائسةٍ، تدفع المقاتل للتنفيس عنها ، بإطلاق الرصاص كيفا اتفق، ناشرا الموت والرعب والخوف، الخوف الذي شلّ الحياة تماما حتى تلك الديكة

التي يملأ صياحها الآفاق في فجر كل يوم جديد ،لم يسمع صوتها، وكذلك الكلاب التي يفترض أن تنبح كل غريب ،لم يسمع صوتها على الرغم من أن المدينة امتلأت بالغرباء. لقد تحول الخوف إلى كائن مرعب ذي سطوة ،تمكنه من أن (يلجم الجميع)،ولعمق وهول الموقف عبر بيتر باللفظ (ابتلعت) للدلالة على انقطاع الأصوات تماماً، فالصياح والنباح صارا حبيسي الجوف لدى الديكة والكلاب، ناهيك عن أصوات البشر.

في الحرب لا صوت للعقل أو للمنطق أو الاتفاقيات الدولية والمحلية ، فالعقل والقانون يحتم على المقاتل ألا يتعرض للأبرياء والمدنيين، وكذلك اتفاقية جنيف لحماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب تحظر(الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل بجميع أشكاله والتشويه والمعاملة القاسية والتعذيب)[٢٩]وهذا الحظر يشمل (الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم)[٣٠]وهذا ما عاشته الخرطوم فقد بدأ المهاجمون يدخلون الأحياء السكنية ليحتموا داخل الأحياء ،(تباً لهم هذا جبن بائن، لجعلنا نتردد في إطلاق النار، ولكننا لم نتردد مع الأسف)[٣١] لقد كان الموت يوزع بالمجان، على المقاتلين وسواهم،(مع الأسف) جاءت تبين ألما وحزنا يعتمل في نفس "بيتر"، فبداخلة أسف عميق على اطلاق النار العشوائي الذي قاموا به دون مراعاة لحرمة المدنيين، لكنهم ألجئوا لهذا، بسبب (جبن) العدو الذي احتمى(بأحياء المواطنين).

حتى الماكثين في دورهم لم يسلموا من دفع ضريبة "طموح السياسيين" (فهذه امرأة فقدت طفلها، أبناء فقدوا والدهم عندما كان خارجاً من المرحاض لتستقر رصاصة بين عينيه ،أم فقدت ابنتها والأخرى جريحة في غرفة العمليات . مواطنون يولولون على

عزيز قتل بالخطأ أو جرحى في طريقهم إلى المشافي)[٣٢]هؤلاء لم يكونوا عسكريين ولا أصحاب طموح سياسي ،لم يكونوا مرتزقة أو ميلشيات ،كانوا أناساً بسطاء يعيشون حياتهم ببساطة "رجل الشارع "،اللاهث خلف لقمة عيشه. لكن الرصاص المقاتل ،لا خيار له سوى القتل، الذي نتيجته لوحة شديدة القتامة، لا ترى فيها سوى يتيم فقد الوالد، أو ثكلى تحترق روحها على صغيرة قتيل، وأخرى جريح، وتوي خلف سوادها أرملة وأختا وأخا فقدوا عزيزا، تكاد تسمع ولولة وصراخا ونحيبا، لا يملك المواطنون سواه!!ولكلمة(يولولون)في هذا المشهد القاتم، وقعها العميق الذي ما كان لكلمات أخرى أن تؤديه مثل (يبكون–يصرخون–ينوحون)،فالولولة حملت معنى الحزن وتكرار البكاء وعبارات التوجع، التي تعبر عن التياعهم على فقدان أحبتهم أو إصابتهم.

وعندما تنتهي المعركة التي يخرج منها الجميع مهزومين ،فإن آثارها وذيولها لا تنتهى (صرنا ننظف المدينة منهم ومن أشباههم وأشباهنا، كنا نرى الجميع عدواً حتى الذين عاشوا وسطنا لسنين طويلة، كُنّا نهاجم ونعتقل ونطارد كل المشتبهين، نقود حملات تفتيش شرسة لكل البيوتات المشتبه فيها)[٣٣] بعد المعركة تصبح الرؤية ضبابية، فالمهاجم والمدافع ، له شبيه تجندل على أرض الوطن،(أشباههم وأشباهنا) ‘فالجميع أبناء السودان ،والجميع يجب التخلص من جثثهم!!!والجميع موضع شبهة ،والجميع متهمون حتى تثبت براءتهم ، وصاحب السلطة (الحكومة) من حقه أن يطلق عساكره لتنهي كل وجودٍ للتمرد ،وتعتقل وتقتل أيضا من "يشمّ" منه رائحه انتماءٍ أو تعاطفٍ مع (الانقلابيين)،حتى لوكان جارا، أو صديقا، فإن السنين الطويلة التي عاشها، بينهم لن تشفع له، إذا ما كان موضع شبهة واشتباه.

و (أسهل شيء أن تطلق النار دون إبداء أي تردد حتى لمجرد الخوف ، لأننا كنا نخشى مبادرة الطرف الآخر)[٣٤]، والسر في ذلك(نحن أيضاً كنا خائفون) يعترف

"بيتر" باستيلاء الخوف عليهم، إنه ذلك المركب النفسي الغريزي، الذي يسيطر على الإنسان في لحظةٍ ما، فيدفعه ليكون شرساً عنيفاً قاسيا، فقط ليحمي نفسه من هجوم العدو، الذي يحمل خوفا مماثلا، قد يجعله هو المبادر لإطلاق النار.

هذه الاشتباكات إذا ما انتهت ، فإن أثرها النفسي لا ينتهي ،فهي تترك بصماتها الواضحة في نفس من عاشها بعد انتهائها، فالضابط "بيتر "يعترف لنفسه (كنت أسمع بشكلٍ متواصل إطلاق نار في كل مكان، ومكابح شاحنات الجيش وهي تنزلق على الإسفلت، لقد سكنت هذه الأصوات دهاليز أذنيّ لعدة أسابيع، كنت مرهقا ومشوشا من عدم النوم .... أذهان مشوشه يملأها أشباح أصوات لمعارك شرسة دارت بشراسة)[٣٥]

إن المعركة التي انتهت على أرض الخرطوم، لم تنته في وجدان من خاضها وعاش أحداثها ، سواء أكان عسكريا أم مدنيا، رجلاً أم امرأة، فهذا قول ضابط خاضها بقتلها وقتالها، لم تكن المعارك (شرسة)فحسب بل دارت بشراسة، كانت المعركة ومن خاضوها، وما جرى فيها من أحداث، جميعها كانت شرسة.

أما "لوسي" تلك القروية البسيطة التي فرت من قريتها حذر الحرب، لتعود فتقف وجا لوجه أمام الحرب في الخرطوم، فقد كان للحرب أثٌر آخرٌ في نفسها (أعلم السبب الذي أصابني بالعقم العام الذي كنا نسمع فيه إطلاق النار في كل مكان ونرى تطاير الرصاص في الهواء كالنجوم التي تهوي ثم العام الذي يليه ،أفسر ذلك بإحساس الرعب الذي غمرني)،هذه القروية البسيطة لا تجد مبررًا للعقم الذي أصابها لمدة عامين بعد إنجابها ثمانية من الأبناء، لا تجد له تفسيراً سوى (ذلك الرعب الذي طوقني في ذلك اليوم ليس من أجل نفسي، وإنما كان خوفي يتعاظم عندما أتخيل أن يتعرض من أحبهم للأذى)[٣٦]، المرأة أمّاً وزوجة بما جبلت عليه من إشفاق وحنو، ينصب اهتمامها وخوفها في جانبه الأعظم على أحبتها وأسرتها، فهي تخاف وهو أمر غريزي، لكن

هذا الخوف(يتعاظم) إذا ما تعلق الأمر بأحبتها، واستخدمت لفظتي (الرعب والخوف) لتعبر عما عانته في ذلك اليوم،(الرعب الذي غمرني)و(الرعب الذي طوقني)،الرعب لم يعد مجرد شعور أو احساس، لقد تحول كيانا ملموسا، له حضوره المحسوس، فهو يغمرها ،والغمر كما في لسان العرب : وغمره الماء يغمره غمرا واغتمره : علاه وغطاه[٣٧]، فالرعب يغطيها ويحيط بها ويعلوها، والرعب يطوقها، والتطويق بما يدل عليه من إحاطة شاملة دون ثغرات، يوضح للقارئ شعور العجز الذي شعرت به ،وهي تعايش تلك الأيام العصيبة.

هذا الانفلات الأمني في الشمال أعادها إلى أحداث الجنوب ،في تداعٍ حر، فرضه القتال الدائر في شوارع الخرطوم،(ذاك الخوف الذي أعادني إلى تلك الغابة عندما قتلت الأم وظل رضيعها يبكي وحده في العتمة تحيطه الاشجار الضخمة كالوحوش)[٣٨] ،إنه الربط النفسي والفكري بين الشمال والجنوب.. تفلت الأمن ،ورخص الروح البشرية،وفشل الحكومة في حماية مواطنيها ،سواء في الشمال أم الجنوب.

إحدى الأزمات التي واجهت السودان في عهد الرئيس الأسبق " جعفر النميري" كانت إعلان تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، (قبل عام أعلن رئيس البلاد قوانين إسلامية ونزلت على رؤوس الجميع كشيء مقدس يجب الالتزام به كان رأي البعض أن رئيس البلاد تحول فجأة إلى شيخ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكرات، وألهمته القداسة الجديدة أن يصادر كل الخمور المستوردة من المخازن والمحال التجارية والبارات ويهشمها على الشارع المسفلت المتاخم للنيل)[٣٩] قدمت "جلاء" المحامية الشمالية – مشهد الرئيس وقد (تبللت بزته العسكرية حيث كانت الأرض تمطر خمرًا، كلما انفجرت زجاجة تطايرت محتوياتها إلى الأعلى، كان مهيباً وهو يتسلق تلاً من الصناديق والعلب الفارغة ليطهر المدينة والوطن من الدنس والنجاسة والمنكرات)[٤٠] وقد جاءت

بتعبير (كانت الأرض تمطر خمراً)في مخالفة صريحة لواقع، أن السماء تمطر ماء ، فعوضاً عن أن تمطر السماء أمطرت الأرض ،وعوضا عن أن يكون مطراً طاهرا وسبباً في غيث الشعب ورزقه، أمطرت الأرض خمراً نجسا قطع رزق بعض الشعب وعطل عمله، كان المشهد يبدو كرنفالًا يساهم فيه كبار قادة الجيش وصغارهم وهم يهللون (الله أكبر الله أكبر... شريعة شريعة حتى الموت) ولم يفت "جلاء" التقاط صورة ل(صغار الشرطة يسرقون صناديق أخرى ويخبئونها في البيوت المهجورة.

ير شفون ما يتيسر لهم الرشف ثم يعودون إلى ساحة المعركة لبرح الخمور الأجنبية المزيد من التهشيم) .لم يكن هذا القرار مرضياً عنه من قبل كل أطياف الشعب، لاسيما أولئك الذين يمس مصالحهم ويعطلها ، أو الذين لم يكونوا مسلمين –والسودان بلد متعدد الديانات والأعراق–ولكن ذلك لم يمنع الحكومة من تطبيقه

ف(جلد كل من يقبض مخموراً أو زانياً، أغلقت بيوت الدعارة وطوردت المومسات قطعت أكف صغار اللصوص، تكدست السجون والمعتقلات بالمعارضين وغير الموالين للنظام، حيث يتعرضون للتنكيل والقتل) [٤١]هذا ما أدى إليه تطبيق الشريعة الإسلامية – من وجهة نظر "جلاء"– فضلاً عن أنه كان أحد دوافع التمرد في الجنوب (فانفجر تمرد جديد بجنوب البلاد ينادي بإنهاء التهميش ،وأن تعم التنمية المتوازنة أرجاء البلاد ،والاعتراف "بالحكم الذاتي" للجنوبيين وإلغاء قوانين الشريعة الاسلامية والاعتراف بتنوع البلاد الثقافي والديني)[٤٢]،وفي تعبير(قطعت أكف صغار اللصوص)نقمة واضحة ، وإشارة جلية لوجود (لصوص كبار) لم يمسهم السوء، وفي هذا تأكيد على استشراء فساد داخلي، إذ العقوبة ينالها الصغار، ويفلت منها الكبار وذوو السلطة.

دخلت البلاد في حالة من الغليان،(وانهار الوضع الاقتصادي وتدهورت المعيشة، فظللت سحب الإحباط والعجز سماوات البلاد (.....) صارت الاحتجاجات سمة يوميه كلما خمد احتجاج، قام آخر أكثر قوة وبأسًا وعددا وكلما أطفئ إضراب اشتعلت المزيد من الإضرابات التي شلّت مفاصل النظام في البلاد (.....) وكانت هذه الاحتجاجات تزود السجون بمزيد من النزلاء ،لا لم تعد السجون تكفي حتى قيل أنهم كانوا ينامون وقوفًا، سجن الناس في بيوت سرية رغم كل هذا كان غضب الشعب كالليل الهادر، كان خوف النظام يتعاظم يوماً بعد يوم رغم أن أغلب خصومه في السجون حتى الفنانين والشعراء والصحفيين ويلجأ لطمأنه نفسه بالمزيد من البطش) [٤٣]في هذا التصوير للوضع في السودان يظهر بوضوح عدم تقبل –جلاء– هذه الخطوة وحتماً هناك الكثير غيرها، ونجد في قولها(قطعت أكف صغار اللصوص)إشارة ضمنية إلى كبار، لم تقطع أكفهم، الصغار تم قطع أيديهم تطبيقًا للشرع ، أمّا الكبار الذين قد يكونون من رجالات الحكم، أو ممن يلوذ بهم ،فهؤلاء يتم غض الطرف عنهم، إنه المعنى وراء المعنى، الذي يتوجب على القارئ تلمسه بين الأحرف، ودون أن يصرح به السارد. والبيوت السرية هنا تعني تلك التي يغيب فيها كل معارض، حيث التعذيب والتنكيل كما هو في السجون ،ولأن (اللغة في أي مجتمع صغير أو كبير هي نظام من المعاني المتفاوض عليه محليا [...]هذا النظام من المعاني هو الذي يستطيع أن يحدد من الذي يستطيع أن يفعل كذا؟ وماذا يفعل؟[..] وهي تختلف من مجموعة بشرية إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر)[٤٤]جاء تركيب (البيوت السرية) للدلالة على أماكن الاعتقالات ،غير المشروعة، وهي إشارة واضحة لاستبداد الحاكم، وغياب العدل ،فلو كان هناك عدل ، لما احتاج البيوت السرية، ولما استخدم التعذيب والتنكيل والترويع. وعندما جعلت من ضمن خصومه الفنانين والشعراء والصحفيين ،فهي تؤكد على

استبداده ومناوءته أهل الفكر والرأي ، فالحاكم لم يكتف بمخاصمة السياسيين والعسكريين ، بل اتخذ من أهل الفكر خصوما يكمم أفواههم ، ويمنع حرية رأيهم ، ويغيبهم في السجون.

والمفارقة المؤلمة أن الجهاز المسؤول على الاعتقال والتعذيب والترويع، هو جهاز "أمن" الدولة إلا أن مؤسسته أكثر المؤسسات قدرة على إثارة الرعب، وجل من تضمهم يتمتعون بالقسوة وحب الأذية ،"جلاء "تنمذج أفراد هذا الجهاز من خلال أحد عناصره "إسماعيل" فقد (كان اسماعيل وما يزال شخصية يستمتع بتنغيص حياة الآخرين ، يتمتع بروح ثعلب ، لديه قدرة فائقة على إيقاع الجميع في الفتنة ولديه صبر طويل على المراقبة والتخابر على الآخرين ومعرفة أسرارهم ليستخدمها لصالحه عندما تحين الفرصة وأظنه استفاد من هذه الخاصية ليلتحق بمؤسسة أمن الدولة التي كان الكل يرتعد لمجرد سماع اسمها)[٤٥] إسماعيل هذا صورة بشعة لأمن الدولة الذي تحول "لرعب المواطن" ،وخاصية التجسس–التخابر –والوصول إلى أسرار الآخرين هي التي مهدت له الطريق ليكون عنصراً من عناصر مؤسسة الرعب العتيدة ، يرعب أصحاب الفكر

(أنه بإشارة بنان يستطيع إلقائي في السجن ، أنا و من يدعوهم بالنقابيين المشاكسين أذيال المعارضة المدعومة من دول معادية للوطن(....) يستغل انتماءه لأمن الدولة (.....)وفي بعض الأحيان يرعبني فعلاً تهديده) [٤٦]فتلفيق اتهامات وتوجيه أصبع الاتهام بالخيانة إلى أصوات المعارضة هي اللعبة التي يتقنها أفراد "أمن الدولة،" والتي جراءها فقد الكثير من أحرار الوطن حياتهم تحت التعذيب، ومن حالفه الحظ هاجر نحو المنافي كما فعل الضابط بتير الذي كان يؤمن بأن مسألة الهوية غير(مرتبطة بجهة أو كيان أو دين أو لغة فهذه تظل باقية ، ولكنها أكثر ارتباطاً

بقدرتي على المشاركة في التغيير ولعب دوري الوطني في الكفاح لإخراج بلادي من الأزمات التي تمر به، والطرق المستمر لتعم العدالة ويهنأ كل فرد أو جماعة بالحقوق)[٤٧] فاللغة أو العرق أو الدين ليست هي الفيصل في الانتماء لديه فالمهم هو (مسألة الانتماء لكل السودان مسألة مهمة بالنسبة لي، لأني لست ابن جهة ما ،أنا ابن هذا البلد)[٤٨]فبيتر برغم انتمائه لعموم السودان وسعيه لتحقيق العدالة والارتقاء بالوطن، أصبح مطارداً بين ليلة وضحاها نتيجة وشاية من أحد أفراد الأمن الوطني "إسماعيل" الذي أخذ (يحيك قذارة بخصوص أخيكم بيتر، وشى به لدى السلطات بأن له علاقة مع المتمردين وينقل لهم أخبار الداخل . وأيضاً هو السبب –في تهريب عدد من المعارضين بأسماء مستعارة)[٤٩] وشاية مدسوسة من شخص حاقد، كل ما يملكه هو انتماؤه للأمن الوطني، ورصيد كبير من الحقد والخسة كفيلة بأن يقتحم الأمن الوطني (منزل بيتر وتهجم عليهم ، وتم اعتقال ماركو وتعذيبه أيضاً، أنا أيضاً. تم اعتقالي والتحقيق معي عدة مرات ولكن دون جدوى)[٥٠] وكما هو ديدن المخابرات عندما تفشل في اصطياد طريدتها، تستعيض عنها باقتناص من يمت إليها بصلة ، حيث اعتقل الأمن الوطني "ماركو" رفيق بيتر و"جلاء" صديقته المقربة وبمثابة أخته. وبصورة أدق تقدم "لوسي "زوجه "ماركو" وصفاً لما ارتكبه الأمن الوطني (في ذلك اليوم حضر جنود بأزياء عاديه ، ولكنهم يحملون مسدسات صغيرة ، دخلوا البيت بالقوة وحطموا الأبواب المغلقة ، سحقوا باب غرفة العمليات وعاثوا فيها، فرقوا الكتب وحطموا الصور بعثروا كل شيء واخذوا معهم أي ورقة و كتاب وجدوه وجهاز اللاسلكي والهاتف وجهاز مذياع صغير بسلك يشير إلى السقف، وأخذوا "ماركو" معهم وهم يضربونه ويجرونه من ياقته ورموه في سيارتهم)[٥١] إنهم" زوار الفجر" صاروا يزورون في كل الأوقات ويعتقلون كل الأشخاص، هم القوه الطاغية التي لا يعيقها حرمة

بيت، أو رقة أنثى، أو ضعف شيخ، يدخلون البيوت " بقوة" يعيثون في الأماكن الخاصة ذات الحرمة الشخصية، ونجد كلمة سحقوا تعطينا إحساسًا مفرطًا بقسوتهم وهمجيتهم وقوتهم غير المنضبطة ، وفي لفظة "رموه" ما يشي بإهدار القيمة الإنسانية للفرد، لم تقل "لوسى" أركبوه أو ادخلوه أو اصطحبوه ، بل سجلت ما رأته وشعرت به ،كان الفعل "رميا" وليس فعلا آخر!!

وليس غريباً أن يعود بعد عدة أيام (بأظافر مقلوعة وعين متورمة ، ورضوض لا حصر لها على جسمه ، عذبوه ليدل على مكان أخيه) فالتعذيب هي لغة الحوار الوحيدة في قاموس الأمن الوطني، التعذيب ليس عقوبة على ذنب أو إساءة، بل هي وسيلة لاجتلاب المعلومات أو بمعنى أصح (انتزاعها)، هذا التعذيب لم يُصب على "ماركو "كونه جنوبياً ،فأمن الوطن لا يهدده الجنوبي فقط، بل حتى الشمالي الذي يطمح إلى (اقتلاع النظام الفاسد بالقوة)[٥٢] وفي كلمة اقتلاع ما يوحي بأمرين متلازمين ، قوة الفعل فعل الاقتلاع ، تقابلها قوة جذور النظام المقتلع ، وعليه فقد (تم القبض على حسن عباس بعد الأحداث مباشره، وقد تعرض للنقل بين عدد من السجون والزنازين أبى الاعتراف)[٥٣] ومما لا يحتاج ايضاح، أن النقل بين السجون والزنازين، يكون لزيادة العناء ومضاعفة العذاب، فلعل زبانية سجن ما، يفلحوا فيما أخفق فيه سواهم، والنتيجة (جاءت عربة تحمل حسن عباس ، كان يتكئ على كتف اسماعيل ، جلاده (....) كان في إعياءٍ شديدٍ يبصق دما، وتدبغ جلده حروق عدة وأظافره مقلوعة [....] أصابعه مليئة بالتقرحات)[٥٤].الخارج من قبضة الأمن الوطني، يخرج وقد حمل آثارهم على جسده وروحه. ونلاحظ أن الخطاب هنا هو خطاب غاضب رافض لما يحدث على أرض الواقع استخدم سرد الحوادث، ووصف حال المعتقل، وآثار

التعذيب، ليوصل إلى ذهن القارئ، بشاعة ما يحدث أثناء التحقيق، فـ (ليس الخطاب غير الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية)[٥٥]

وفي رواية "النخلة أمي وأبي الأبينوس "، نجد تكريسًا لانحطاط المستوى الانساني والأخلاقي وسوء سمعة "جهاز الأمن" فأسماء زوجه رجل مهم في الجهاز تشكو لخادمتها (لقد تحول من ملاك إلى شيطان خمر ونساء وحشيش واسرار يندي لها الجبين لم أعلم عنها إلا أخيراً ، و بعد أن وقع الفأس في الرأس كما يقولون)[٥٦] هذا الانقلاب الصارخ من ملاك إلى شيطان لا يتورع عن اجتراح كل نقيصة، ويصيبها في مقتل بخياناته المتكررة ، ليس له سبب، سوى انتمائه للجهاز الأمني (فكرت أليسا في نفسها عن معنى الجهاز الذي تعنيه ست اسماء– ربما تقصد جهاز الأمن والمخابرات ، فليس من جهاز غيره يحوي أسراراً وفساداً ونساء)[٥٧]

إن صورة جهاز الأمن والمخابرات سيء الصيت تتكرر في الرواية السودانية وربما كذلك في الروايات العربية بصورة عامة.

فالجهاز الذي أنيط به حفظ أمن الوطن والمواطن، صار هو مبعث خوفه ، فهم يتابعون يراقبون يحاسبون ، يحاربون الرأي الآخر ، ولا يعترفون بحرية الرأي ولا ثقافة الاختلاف، والجواسيس لم يعودوا يحتاجون للتخفي والاندساس بين صفوف المعارضين، فوسائل التواصل الإلكتروني الآن كفيلة بنشر الرأي الآخر، ليكون دليل اتهام وإدانة في عرفهم غير مسموح لأحد مخالفتهم الرأي ، ولهم الحق في معاقبته بما شاءوا، وكيف شاءوا.، (في ذلك اليوم كنا نجلس سويا في الصالون، أتاه اتصال تغيرت تعابير وجهه على أثره ، قام كمن لدغته عقرب، وقال للطرف الآخر:

– اقبضوا عليه وتمسكوا به جيداً لا يفلت منكم هذا الكلب قد تعدى علينا كثيراً ، وصفحته في الفيس وتويتر يتابعها آلاف الشباب.

انتبه فجأة إلى وجودي فقال لي بلكنة حادة :

– يمكنك أن تذهبي إلى أبيك لدي عمل هام.

– لقد كنت معهم بالأمس.

–اذهبي مرة أخرى وخذي معك زهرة والسائق أيضاً

كان من الواضح أنه يتخلص مني ليتفرغ لذلك الشاب الذي وقع في قبضته)[٥٨] وفي تعبير(آلاف الشباب) ما يشى بحرصهم على ألا تخالفهم (شريحة الشباب)، ولا تتأثر بمناوئيهم، لعلمهم أن الشباب هم القوة البانية والدافعة لأي عمل سياسي أو فكري أو اجتماعي، وفي الإشارة الى الفيس بوك وتويتر إقرار واعتراف بأن وسائل التواصل هذه حلت محل وسائل الإعلام القديمة ،مثل الجرائد والمجلات والإذاعة والتلفاز، وصارت وسيلة لنشر الأفكار وعرض الآراء السياسية والاجتماعية.

عناصر المخابرات أثمن شيء لديهم هو المعلومة، وأرخص شيء هو حياة المعارض، لا مانع لديهم أن يزهقوا الروح إن رفض صاحبها إعطاء المعلومة! ويتحولون إلى وحوش بشرية، في سبيل الحصول على المعلومة المطلوبة، لكن صورة الوحش يخفونها في داخلهم، ولا يبدونها لعوائلهم، والعالم المحيط بهم خارج نطاق الجهاز، لذا رأينا حرص "الرجل المهم" على إخلاء منزله من زوجته والخادمة والسائق (كان الفتى يتعرض لتعذيب من نوع لا يطاق لقد كانوا يصرخون فيه ليدلي بمعلومات عن شركائه من المعارضين المقربين منه، كان الشاب شجاعًا لا ينطق بكلمة صرخات الألم التي تنطلق من عقب كل رد صامت منه على أسئلة زوجي ومعاونه. لقد اقتلعوا أظافرة وكانوا يتناوبون ضربه بأحذيتهم وكل ما يصل أيديهم. كنت أقف ساكنة، وعقب كل صرخة أمسك نفسي عن الصراخ مثل الفتى ،فقد كنت أتألم مثله (.....) بعد فترة سمعت ضربة قوية وتهشم شيء وكأنه عظام ايقنت أنه صوت راس الشاب لاته صمت

بعرها صمتًا ابدياً).[٥٩]إن الإمساك بمعارض، لا يعني الإمساك بإنسان، بل بحلقة من سلسلة لابد من جرها للقبض على سائر الحلقات، وهو خزنة معلومات لا مناص من فتحا والوصول إلى كنوزها ،ولا مفتاح لها سوى التعذيب الوحشي، الذي قد يصل إلى الموت، في أفضل الحالات، هذا الشاب دفع حياته ثمنا لمعلومات لم يشأ البوح بها، كان يحمي رفاق النضال ، لعلمه أن وشايته بهم ستأتي بهم لنفس المصير ،وستجهض مشروع التغيير الذي يطمحون إليه ، وأضيف رقم جديد للضحايا مجهولة المصير فقد غادر "الرجل المهم" المكان بسيارته(محملة بجثة الفتى إلى مكان مجهول حتما إلى مكان مجهول لن يعثر عليه بشر)[٦٠] جاء الحديث عن هذا الشاب بصيغة النكرة، فنحن لا نعلم له اسما أو عمرًا أو أي معلومة قد تكشف هويته، وفي هذا دلالة تومئ إلى أنه ليس سوى واحد من كثر، وأنه تجسيد للدور القمعي الذي يمارسه جهاز الأمن، فهو غير معنيٍ بمن تكون أنت، بقدر عنايته بمع من تقف أنت ؟ وهكذا يزداد عدد المغيبين قسريًا واحدً آخرًا.

هذه الحقيقة المرة والصورة البشعة لرجال "الأمن الوطني" يحرصون على إخفائها عن عوائلهم وأسرهم، فهم خارج أسوار المعتقل ،أشخاص طيبون واباء حنونون و أصدقاء مخلصون !! فالرائد "الطيب "، في رواية "الجدران القاسية" ،تسأله زوجه وقد جرح اصبعها(وهي تبشر البصل بمبشرة جديدة لم تنتبه لها جيداً فطار ظفرها مع السكينة الحادة

– ترى كيف يتحمل الناس قلع أظافرهم في التعذيب ؟ ده ألم فضيح.)

ثم فاجأته بسؤال قلب كل شيء رأسا على عقب.

(–الطيب ما نسمع عنه من أخبار التعذيب، هل يحدث عندنا ؟

أقصد في بلدنا ؟

سألها متوجساً :

– ليه بتسألي؟

قالت دون تردد:

– لأنه شيء فضيع ....وبالتأكيد لا يمكن أن يحدث هنا)[٦١]

إن أخبار التعذيب تسمع عنها مجرد سماع ، وتخالها في دول أخرى، أما دولتها فلا، لكن المفارقة هي أن هذا التعذيب يحدث كل يوم ، وزوجها شاهد عليه ، لكنه لا يجرؤ على الإشارة إليه ، بله الدخول في تفاصيله وأسبابه ونتائجه ، بل هو ينفيه تمامًا، وينفي أية صله له به

(واستطردت قائلة وهي تنظر إليه :

– وإذا حدث، فلا يمكن أن يكون لك به صله

أجابها وهو يهرب بنظراته :

–طبعًا –طبعًا، وهل يعقل أن يكون لي صلة به ؟)[٦٢]

في رواية "الجدران القاسية" ،تصحبنا الروائية ملكة الفاضل في رحلة قاسية منذ اللحظة الأولى لظهور "زوار الفجر" بطرقهم العنيف في جوف الليل (عندما فتح الباب رأى عدداً من ذوي السحن الغريبة ، لم يتعرف على أي منهم)[٦٣] لقد كان يتوقع أن يكون (أحد الأهل من بلد بعيد) [٦٤]لكنهم لم يكونوا ! فوجوههم غريبة، وملامحهم ليست بالودودة ، كلمة (سحنة) تعني وجه الإنسان وهيئته، كما تعني الهيئة واللون والحال[٦٥]،لكن مجيئها في هذا السياق –في سياق وصف قوم غرباء يطرقون الأبواب ليلا–ما يشي بالاستياء، ولما كان لقد جاءوا بحثاً عن المحامي صلاح محمد أحمد

(سنأخذه معنا لنسأله عن بعض الأشياء)[٦٦] هذه العبارة الحاضرة دائماً في كل اعتقال ، الأمر لا يتعدى بضعة أسئلة*وهي عبارة بريئة، وعناصرها اللغوية لا تنطوي على ما يثير الرعب أو حتى الاستياء، ولكن لما كان (السياق مجموعة الظروف التي تحف فعل التلفظ فعناصره لغوية وغير لغوية فالنظرة إليه لابد أن تكون من جهات متعددة تنبع من النص ،وتنطلق من ملابسات القول)[٦٧]،والظروف المحيطة بالنص هنا، من زمان ومكان وشخصيات، تجعل لوقع هذه العبارة، أثرا مرعبا ومثيرا للقلق. فـ (ثمة عناصر غير لغوية تكون ذات دخل كبير في تحديد المعنى ، وهو ما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ،تتصل بالمتكلم والمخاطب معا مما لا تسجله المعاجم)[٦٨]،فالمتكلم هنا من (زوار الفجر)والمخاطب(مواطن مغلوب على أمره).

هذه الزيارات تحمل الرعب لأهل البيت جميعاً، وليس للمطلوب فقط ، فأمه بدت ذاهلة منهارة ترتجف كالقشة في مهب الربيع، وأبوه الشيخ الكبير بدا (وكأنه غير آبه لما يدور حوله كان في حالة صدمة وذهول)لا يكاد يستوعب مجيء هؤلاء في منتصف الليل وذهابهم بولده، إلا وأنه في اللحظات الأخيرة(عندما تقدم صلاح وسط أولئك الأغراب نحو الباب الخارجي اندفع نحوهم وهو يردد:

- لن أترككم تأخذون ابني)[٦٩]،مجيئ اسم الإشارة أولئك ،الذي يستخدم للجمع البعيد، مع بدلها (الأغراب)،يعمق إحساس القارئ بخوف الأب على ولده ،واستيعابه لما يمكن أن يواجهه ولده ،ويتعرض له على أيدي هؤلاء.

أليمة هي تلك اللحظات التي تغادر فيها دار إقامتك ، فكيف وأنت تغادرها مرغمًا يحفك التوجس والترقب وتشيعك نظرات والديك الولهى، بل (خيل إليه أن شجرة المانجو تحركت فجأة وسط ذلك السكون ومالت بأغصانها نحوه كأنها تبحث عن عزاء هي الأخرى)[٧٠] الشجرة لم تعد مجرد نبات ، بل روح تحس وتشعر، تتألم لفراق من زرعها

ورعاها، تحطم الناموس الكوني ، فتتحرك وتمد يديها–أغصانها–في محاولة يائسة ،لعلها أرادت التشبث به، ومنع "زوار الفجر من أخذه، لعلها أرادت حمايته من المصير الأسود الذي ينتظره، فللشجر إحساسه الخاص، الذي لا يدركه إلا من كان على صلة روحية مباشرة به.

خرج "صلاح " برفقة ضابط الأمن لتبدأ رحلة العذاب مع الأمن الوطني" (شعر بالأيدي تدفعه فنزل من العربة وهو يكاد يسقط ، سمع صوت باب يفتح وعادت الأيادي تدفعه إلى الأمام فهو يكاد لا يرى شيئًا(.....) شعر صلاح بمن يدفعه داخل أحد الأبواب فوجد نفسه في غرفة لم يميز شيئًا فيها بسبب الظلام الحالك)[٧١]

صلاح لا يتعامل مع بشر كاملين إنها فقط "أيدٍ تدفع" ،هو لا يكاد يرى شيئًا أو يشعر بالبشر ، وهو يتلقى فعل "الدفع" فقط ! فهذه الايدي لا ترشده ولا تقوده ، إنها تدفعه فحسب ، ولكلمة الدفع هنا في هذا الموقف البائس دلالتها القاسية، ففيها الجفاء والقسوة واللامبالاة بآدمية الشخص ،ويتكرر فعل الدفع فالحارس دفع الحقيبة بيده فوقعت مكانها، ثم دفعه هو فسار امامه،(سرت القشعريرة في جسده عندما دفعه السجان.)[٧٢]،فالدفع في سياق هذا الموقف هو دفع قاسٍ مؤلم ،يحمل من الإهانة والقسوة الكم الكبير، والقادر على دفع (القشعريرة) للسريان في جسده، والقشعريرة تسري في الجسد عند تعرض الإنسان لشعور قوي من البرد او الخوف أو السعادة أو الحنين، ولا شك أن الشعر الذي اختبره "صلاح "هنا كان مزيجا من الغضب والخوف والحزن والصدمة.

في أفضل الحالات ، يظن من أخذه "زوار الفجر"، أن هناك حالة "التباس" أجل....التباس ، فالطريقة التي أخذوه بها من منزله، لا يقوم بها إلا من أطلق عليهم "زوار الفجر" حيث يؤخذ الشخص للتحقيق معه لأسباب سياسية، وصلاح لم يكن

معارضًا سياسيًا ،لم يقم بأية تحركات تهدد أمن الدولة (لقد ظل يؤمن بأن حرية الإنسان تأتي في المقام الأول....ظل الإنسان قضيته الكبرى (.....) وقد وجد في مهنته كمحامي مجالًا خصبًا لخدمة قضايا الإنسان مثلما وجد في قلمه السلاح الأمثل للدفاع عن الحرية والعدل)[٧٣].وكان هذا كافيا ليكون نزيل الزنزانة !! نظر حوله يريد أن يستطلع المكان (اصطدمت نظراته بالجدران).

هو لم ير الجدران ولم تصافحها عيناه ، بل اصطدمت بها فضيق المكان لا يسمح له بان يسرح النظر، ولونها الرمادي الكئيب جعله (يشعر بشيء يكتم أنفاسه).

ولأن الأشخاص الذين يؤمنون بالحرية والعدل، لا يتوقعون أن يزج بهم في المعتقلات والسجون دون جريمة ، لذا المحامي صلاح (بقى في مكانه ينتظر طلوع النهار واللحظة التي يأتي فيها من يقول له :" أنت هنا عن طريق الخطأ") هي لحظة تفصل بين الحرية والاعتقال ،لحظة أن يطرق الباب فجرًا، ولحظة أن يقال : أنت هنا عن طريق الخطأ.

لكن هذه اللحظة تأبى الوصول فـ(مرت أيام واسابيع وهو على هذه الحال واعتراه شبه يقين بأنه لن يخرج قريبًا)،حرصت الروائية "ملكة الفاضل "على أن يكون الإحساس "شبه يقين "وليس يقينا تاما ، مستشعرة بذلك ألم وترقب وتوجس السجين ، فهو لم يقطع ببقائه في السجن ويأس من الخروج و(اليأس أحد الراحتين)،وكذلك لم يتيقن من قرب خروجه وانفراج كربه.(في ظلمة السجن الانفرادي، ينفرد السجين بالذاكرة والأسئلة الملحة، ويقع فريسة المخاوف من فقدان العقل وينتقل إلى حالات من اليأس وخيبات الأمل من استباحة المكان)[٧٤]،فمكانه الحميم في منزله استبيح، وانتزع منه ومن بيته، ومكانه الحالي (الزنزانة الانفرادية)عرضة للاستباحة في كل لحظة، فهي ملك مشاع للسجانين يقتحمونها وقتما شاءوا.

عندما وقف صلاح في غرفة التحقيق التي بدت وكأنها لا تنتمي لذات المكان (فالغرفة الواسعة بطلائها النظيف والمكتب الذي رصت حوله بعض الكراسي المكسوة بالجلد بدت كأنها الرفاهية بعينها)[٧٥]. بدا له واضحًا التضاد بين عالم السجان المترف، وعالم المسجون المعدم القديم حيث (كل شيء مهترئًا: الجدران والسقف والأرضية التي يبدو أنها كانت مغطاة بطبقة من الإسمنت إلا أنها تآكلت وتشققت فصارت مثل التربة الطينية عندما تجف بعد هطول الأمطار. كان كل شيء باهتًا إلا تلك الأبواب ذات القضبان الحديدية التي بدا وكأنها لا تنتمي إلى ذلك المكان الضارب في القدم)[٧٦] ،وصف السجن(عالم المسجون)،ومقارنته بعالم السجان المرفّه، كان ضرورة سردية تصويرية، لنقل المتلقي بخياله ومشاعره، إلى هذا المكان المحاط بالغموض والقسوة، ليكون مشاركا فاعلا متماهيا مع النص، فللمبدع طموح يقصده من كتاباته، لا سيما الرواية والقصة، لعل أهم ما يسعى إليه المبدع هو:

١-تمتين العلاقة بين وحدات التواصل بحيث يتماهى المتلقي في الرسالة المنتجة لدرجة إنتاجها، وتحول المنتج إلى متلقٍ بعد خروج النص من جهازه النطقي الإبداعي، بمهنى تفعيل عنصر المشاركة

٢-خلق التعايش بين أجواء النص وأفق انتظار المتلقي، حتى لينقطع المتلقي عن عالمه المعاش ويدخل في عالم النص)[٧٧]،هذا التعايش بين النص والمتلقي ، يجعله يتعمق في المكان والحدث الروائي، ويألف الشخصيات الورقية ، التي تحاوره ويستمع إليها وتقدم أفكارها، إذ (يظهر من خلال تصارع الأيدلوجيات المختلفة للشخصيات الورقية أيدلوجيا المبدع الخاصة التي يحاول أن يميزها عن باقي الأيدلوجيات)[٧٨]عبر عرضها على لسان بطل الرواية، الذي يمرر من خلاله فكره وأيدلوجيته، والذي يكون غالبا له التفوق والغلبة.

الخاتمة

من خلال ما تقدم من البحث، خلصت إلى أن الروائية السودانية أثبتت وعيا سياسيا وإدراكا لأحوال بلدها ، وما مرت به من انقلابات وثورات، واحتكارٍ للسلطة، أدت في النهاية إلى انشطار السودان، وسجلت تأثير الانقلابات، والتصارع على السلطة وما جره على البلاد والعباد من ويلات.

والروائية السودانية وإن لم تكتب رواية سياسية محضة، إلا أن رواياتها جاءت مترعة بالنقد السياسي، وتحمل بين سطورها دعوات للتغيير، والثورة على واقع ينخره الفساد السياسي، وتحلم بتصورٍ جديد لمستقبل واعد للسودان، ينطلق من الإيمان بقدرة الإنسان السوداني على التغيير

الهوامش:

(١) مقدمة عن الرواية السياسية ، د.اي خه شيو .رسالة المشرق ،ص١١٠
(٢) .المضمون السياسي في الرواية العربية، أ.د. عبد العالي بشير. جامعة تلمسان .مقاييس الرواية العربية .
(٣) مقدمة عن الرواية السياسية.
(٤) الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر١٩٦٥-١٩٧٥،حمدي حسين ،مكتبة الآداب، القاهرة١٩٩٤،ص٢١.
(٥) الرؤية السياسية في الرواية الواقعية:٢٠.
(٦) الرواية السياسية والتخييل السياسي .جميل حمداوي . مجلة الكلمة ،ع٤،أبريل٢٠٠٧.
(٧) الاتجاه السياسي في الرواية . علاء الدين سعد جاويش. مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية ،٢٠١١ ص١٩.
(٨) المصطلحات الأدبية المعاصرة .سعد علوش مطبوعات المكتبة الجامعية .الدار البيضاء ،١٩٨٤، ط١،ص٦٠.
(٩) الكاتب والمنفى هموم وآفاق الرواية العربية، د. عبد الرحمن منيف، دار الفكر الجديد ،١٩٩٢،ص٣٥٩
(١٠) ينظر الجيش والسلطة في السودان .حسن الحاج علي أحمد. سياسات عربية العدد٢٤-كانون الثاني ٢٠١٧.
(١١) المصدر نفسه.
(١٢) أرواح إدو: ١٢٧.
(١٣) أرواح إدّو:١٢٧.
(١٤) م.ن.
(١٥) م.ن::١٣٠.
(١٦) م.ن.:١٢٨.
(١٧) م ن.
(١٨) م.ن.
(١٩) المصدر السابق ص٤٦.
(٢٠) أرواح أدو : ٤٦.
(٢١) أرواح أدو:٤٨.
(٢٢) م.ن.:١٩٢.
(٢٣) م.ن.: ١٩٣.
(٢٤) م.ن.: ١٩٥.
(٢٥) م.ن.
(٢٦) م.ن.١٩٦.
(٢٧) م.ن..
(٢٨) أرواح إدو.

(٢٩) اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب المؤرخة في آب أغسطس ١٩٤٩المادة٣.

(٣١) أرواح أدّو: ١٩٦.
(٣٢) م.ن.:١٩٨.
(٣٣) أرواح أدو:٢٠٠.
(٣٤) أرواح أدّو:١٩٨.
(٣٥) م.ن. :٢٠٠.
(٣٦) م.ن:٢٠٥.
(٣٧) لسان العرب:ج١١،ص٨٢.
(٣٨) أرواح أدّو:٢٠٥.
(٣٩) .في أيلول ١٩٨٣أعلن الرئيس السوداني الأسبق جعفر النميري تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في جميع أنحاء البلاد.
(٤٠) أرواح أدّو:٢٣١.
(٤١) م.ن.: ٢٣٩.
(٤٢) م.ن.
(٤٣) أرواح إدو.
(٤٤) من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب-رؤية في توظيف اللغة أداة للتغير والتطير، أ.د.عبد الله بن محمد المفلح، كنوز المعرفة-عمان الأردن،د.ط،٢٠١٧،ص٣٠.
(٤٥) .أرواح إدو :١٩٧.

(٤٧) أرواح إدوا:٢٤٥.
(٤٨) م.ن.
(٤٩) .م.ن.:٢٤٦.
(٥٠) م.ن.: ٢٣٢.
(٥١) م.ن. :٢٣٢.
(٥٢) .أدو٢٠٧.
(٥٣) .أرواح إدّو: ٢١٠.
(٥٤) م.ن.
(٥٥) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر،بيروت،١٩٩٧،ط٣،ص٧.
(٥٦) .النخلة أمي:١٠٤.
(٥٧) م.ن.
٥٨) النخلة:١٧٦.
(٥٩) النخلة ١٧٧.
(٦٠) النخلة أمي:١٧٧.
(٦١) الجدران القاسية: ٦٨.
(٦٢) الجدران القاسية:٦٨.
(٦٣) م.ن.:٢٥.
(٦٤) م.ن.٢٦.
(٦٥) لسان العرب:ج.١٣ص٢٠٤.
(٦٦) الجدران القاسية:٢٦.
* "خمس دقائق فحسب" رواية أو بالأحرى سيرة ذاتية للسيدة هبة الدباغ حكت فيها قصة اعتقالها التي استمرت .تسع سنوات، وبدأت بعبارة خمس دقائق فحسب.

(٦٧) في اللسانيات المعاصرة، النظرية والتطبيق، جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب ،٢٠١٤،د.ط.ص٣٠.
(٦٨) التحليل الدلالي اجراءاته ومناهجه، د.كريم زكي حسام،دارغريب،٢٠٠٠،د.ط.ص٩٢.
(٦٩) الجدران القاسية:٢٧.
(٧٠) الجدران القاسية: ١٥.
(٧١) م.ن.: ١٦.
(٧٢) م.ن.
(٧٣) م.ن.:١٧٠.
(٧٤) المكان الضائع في سرديات الرواية الإفريقية، أحمد شحيمط مؤسسة هنداوي،٢٠٢١،ص٢٤.
(٧٥) الجدران القاسية ٢٧.
(٧٦) م.ن:٢٧.
(٧٧) ما لا يؤيده الحرف،نحو مشروع تفاعلي عربي للأدب، د.مشتاق عباس معن، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع،بغداد،٢٠١٠،ط١،ص٨.
(٧٨) .ينظر: حضرة المحترم أو أنسنة السردي الأيدلوجي، محمد أسيورتي، فصول، الهيئة المصرية للكتاب،العدد٣،١-يونيو-١٩٨٦،ص١٣٦.

المصادر:

١. الاتجاه السياسي في الرواية . علاء الدين سعد جاويش. مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية ،٢٠١١.
٢. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر،بيروت،١٩٩٧،ط٣.
٣. التحليل الدلالي اجراءاته ومناهجه، د. كريم زكي حسام،دارغريب،٢٠٠٠، د.ط.
٤. الجيش والسلطة في السودان .حسن الحاج علي أحمد. سياسات عربية العدد٢٤-كانون الثاني ٢٠١٧.
٥. حضرة المحترم أو أنسنة السردي الأيدلوجي، محمد أسيورتي، فصول، الهيئة المصرية للكتاب،العدد٣،١-يونيو-١٩٨٦.
٦. الرواية السياسية والتخييل السياسي .جميل حمداوي . مجلة الكلمة ،ع٤٤، أبريل٢٠٠٧.
٧. الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر١٩٦٥-١٩٧٥، حمدي حسين ،مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٤.
٨. في اللسانيات المعاصرة، النظرية والتطبيق، جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب ،٢٠١٤، د.ط
٩. الكاتب والمنفى هموم وآفاق الرواية العربية، د. عبد الرحمن منيف، دار الفكر الجديد ،١٩٩٢.
١٠. ما لا يؤيده الحرف نحو مشروع تفاعلي عربي للأدب، د. مشتاق عباس معن، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد،٢٠١٠، ط١.

١١. المصطلحات الأدبية المعاصرة .سعد علوش مطبوعات المكتبة الجامعية .الدار البيضاء ،١٩٨٤،ط١.
١٢. المضمون السياسي في الرواية العربية، أ.د. عبد العالي بشير. جامعة تلمسان .مقاييس الرواية العربية .
١٣. مقدمة عن الرواية السياسية ، د.اي خه شيو .رسالة المشرق .
١٤. المكان الضائع في سرديات الرواية الإفريقية، أحمد شحيمط مؤسسة هنداوي،٢٠٢١.
١٥. من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب-رؤية في توظيف اللغة أداة للتغير والتطير، أ.د. عبد الله بن محمد المفلح، كنوز المعرفة-عمان الأردن،د.ط،٢٠١٧.

Sources:

1. *Al-Ittijah al-Siyasi fi al-Riwaya*, Alaa al-Din Saad Jawish. Horus International Foundation for Publishing and Distribution, Alexandria, 2011.
2. *Tahlil al-Khitab al-Riwa'i*, Said Yaqtin. Arab Cultural Center for Printing and Publishing, Beirut, 1997, 3rd ed.
3. *Al-Tahlil al-Dalali: Ijra'atuhu wa Manahijuhu*, Dr. Karim Zaki Hossam. Dar Gharib, 2000, n.p.
4. *Al-Jaysh wa al-Sulta fi al-Sudan*, Hassan al-Hajj Ali Ahmed. **Siyasat Arabiyya**, Issue 24, January 2017.
5. *Hadrat al-Muhtaram aw Ansanat al-Sard al-Ideologi*, Muhammad Asiyurti. **Fusul**, Egyptian General Book Authority, Issue 1, June 3, 1986.
6. *Al-Riwaya al-Siyasiyya wa al-Takhyil al-Siyasi*, Jamil Hamdawi. **Majallat al-Kalima**, Issue 4, April 2007.
7. *Al-Ru'ya al-Siyasiyya fi al-Riwaya al-Waqi'iyya fi Misr (1965–1975)*, Hamdi Hussein. Maktabat al-Adab, Cairo, 1994.
8. *Fi al-Lisaniyyat al-Mu'asira: al-Nazariyya wa al-Tatbiq*, Joudah Mabrouk Muhammad. Maktabat al-Adab, 2014, n.p.
9. *Al-Katib wa al-Manfa: Humum wa Afaq al-Riwaya al-'Arabiyya*, Dr. Abd al-Rahman Munif. Dar al-Fikr al-Jadid, 1992.
10. *Ma La Yu'ayyiduhu al-Harf: Nahwa Mashru' Tafa'uli 'Arabi lil-Adab*, Dr. Mushtaq Abbas Ma'an. Dar al-Farahidi for Publishing and Distribution, Baghdad, 2010, 1st ed.
11. *Al-Mustalahat al-Adabiyya al-Mu'asira*, Saad Alloush. University Library Publications, Casablanca, 1984, 1st ed.
12. *Al-Madmoun al-Siyasi fi al-Riwaya al-'Arabiyya*, Prof. Abd al-Aali Bashir. University of Tlemcen, *Maqayis al-Riwaya al-'Arabiyya*.

13. *Muqaddima ‘an al-Riwaya al-Siyasiyya*, Dr. Yi Kha Shyu. **Risalat al-Mashriq**.
14. *Al-Makan al-Da’i‘ fi Sardiyyat al-Riwaya al-Ifriqiyya*, Ahmed Shahimat. Hindawi Foundation, 2021.
15. *Min Tahlil al-Khitab ila Bina’ al-Khitab: Ru’ya fi Tawzif al-Lugha Adatan lil-Taghyir wa al-Tatwir*, Prof. Abdallah bin Muhammad al-Muflih. Kunuz al-Ma‘rifa, Amman, Jordan, 2017, n.p.